التحليل النفسي بين المفارقة النقدية الغربية والمقاربة البلاغية العربيـــــة.

Psychological analysis between The paradoxically criticism foreign and the participant Arabic rhetorical

أ.دربالي وهيبة

طالبة دكتوراه بجامعة الجزائر.

كلية اللغة والأدب العربي بجامعة المسيلة

Debali Wahiba91@gmail. Com

تاريخ الإرسال: 2018/04/08	تاريخ القبول: 2018/06/24	تاريخ النشر: 2018/11/17

ملخص البحث

تناول هذا المقال إرهاصات التحليل النفسي في البلاغة العربية، وتمثلت وجود ملاحظات نفسية حول فهم النصوص الأدبية، وهي متقاربة مع التحليل النفسي في النظريات الغربية ولاحظنا أن هذه النظريات طُبعت بالجدل القائم على المفارقة في الآراء بخلاف التأويـل البلاغي العربي، والذي تأسس على الاتفاق بين العلماء، وهو ما جعلنا نبحث في حقيقة توجه علماء البلاغة في تقديمهم للملاحظات النفسية وتفوقهم على زعماء النقد النفسي .

–الكلمات المفتاحية: التحليل النفسي، النظريات الغربية، التلقي النفسي، المفارقة، المقاربة التحليل البلاغي العربي، المقياس النفسي .

Abstract :

This article comes caused its roots at psychological analysis in the arabic rhetoric, o in the existence of notes psychological about understand texts literary, she convergent with theories of foreign and noted that this on paradoxically ,unlike interpret rhetorical arabic ,that adopted on agreement psychological and the arabic excelling on psychology theories.

مقدمة :

ارتبط الأدب بالتعبير عن الحالات الشعورية للإنسان، وهو أحسن وسيلة للتنفيس عن مشاعره، ولذلك عمد النقاد إلى النظر في النصوص الأدبية من ناحية تجلي المظاهر النفسية فيها، وتطورت

هذه الملاحظات عند الغرب فيما عُرف بالنقد النفسي ولاحظنا وجود إرهاصات للنقد النفسي في البلاغة العربية، وهذا الحديث يقودنا إلى طرح الإشكال:فيم تمثلت معالم النقد النفسي في البلاغة العربية؟ وما هي المفارقات والمقاربات في القراءة النفسية للأدب بين نقاد الغرب وعلماء البلاغة العربية ؟.

إن وجود إرهاصات للملاحظات النفسية في البلاغة العربية، هو بسبب توحد التعبير الأدبي عن النفس البشرية، ولذلك تقارب تحليل الأدب بين الثقافتين العربية والغربية.

أولًا – أبرز المفارقات في نشأة النقد النفسي عند الغرب :

مما هو معلوم أن النقد النفسي نشأ في الفكر الغربي في إطار النقد العلمي، فكان الأدب مسرح لتجارب التحليل النفسي عند فرويد وأتباعه، وطبع ممارساتهم النقدية الجدل المؤدي للمفارقة في الكثير من الأحيان، وهذا ما سنتطرق له فيما يلي:

1–نشأة النقد النفسي CRITIQUE PSYCHOLOGIQUE **وأهم أعلامه :**

نشأ النقد النفسي عند سيقموند فرويد « لتحليل نفسية الأديب أو المبدع بشكل عام ..وقد قام أتباع هذا المنهج بتفسير الأعمال الفنية المختلفة عن طريق قراءة العمل الفني رمزيًا ، والربط بين هذه القراءة وبين مادة السيرة الذاتية للفنان »[1].

انطلق المنظور النفسي للأدب من فكرة أن التعبير الأدبي وليد المشاعر الإنسانية فالظاهرة الفنية هي بالضرورة ظاهرة نفسية بالدرجة الأولى، ويعتبر بول بورجيه أهم منظر «في "أبحاث في علم النفس المعاصر...وعند مورون مثلًا وانطلاقًا من سمات مميزة في الأثر يقدم المفسر تفسيرًا وتأويلًا لنفسية الكاتب»[2].

تقدم بول بوجيه بالتنظير في مجال التحليل النفسي، وأيضًااتجه شارل مورون وجهة غير طريقة فرويد في التحليل النفسي لنفسية الأديب، وذلك من خلال التركيز على النصوص الأدبية، وتحديد السمات النفسية المميزة فيه وأخرجه من الطابع النفسي العلاجي إلى مجال النقد الأدبي «على أن مورون لم يقف عند فرضيات التحليل النفسي ذاتها؛ وإنما تجاوزها إلى تنوير الآثار الأدبية وخلق قراءة جديدة لها»[3].

إذا كان فرويد انطلق من شخصية الأديب وأسقط عقده المرضية على نصوصه الأدبية، فعلى خلافه ذهب مورون حيث جعل النص الأدبي أساس لدراسة شخصية الأديب، وكشف عن المواهب الفنية للأديب، وقراءة الأدب قراءة فنية تكشف جمالياته وعمد مورون على أن« يلتقط في أكثر قصائد ملارمي كما في تراجيديات راسين شبكة من الصور الثابتة..هو يصرح بأن كل صورة بلاغية تكون واعية»[4].

تمثل هدف مورون في تبين إبداع الأديب من خلال نصه الأدبي، فبدأ بتحليل شخصية ملارمي من منظور أنه شاعرمبدع في نصوصه الشعرية، واستخرج كل موهبة أدبية وأكد على أنها واعية، والشاعر عنده مبدع على خلاف فرويد، الذي اعتبره مريض، وبالإضافة إلى ذلك «حاول شارل بودوان الإفادة من أخطاء الفروديين في دراساته فذهب مذهبًا يختلف قليلًا عن منهجهم في المعالجة...وعلى العكس من ذلك فإن التحليل عند بودوان تحليل نفسي أدبي »[5].

وضع بودوان مقترح جديد مخالف للمدرسة الفرودية تمثل في القراءة النفسية الأدبية، وحاول الكشف عن عبقرية الأديب، والتعمق في تحليل الجوانب النفسية المتعلقة بالإبداع الأدبي، وقدم تحليلًا نفسيًا للنصوص الأدبية مخالف لتحليل فرويد ومنه فالمعالجة النفسية النقدية للأدب –عند بودوان– مختلفة عن المعالجة النفسية للأديب، فهناك فرق واضح بين جعل الأدب لغاية فنية، وبين اعتباره وسيلة لكشف عن عقد الأديب ومحاولة علاجها« وصنيع بيف يختلف كل الاختلاف عن صنيع الفروديين، فهو بدراسة حياة الأديب لايقف عند الحدود النفسية، وإنما يتجاوزها إلى خلق عمل أدبي ثانٍ يسميه السيرة الأدبية»[6].

اختلفت قراءة سانت بيف النفسية عن قراءة فرويد للنصوص الأدبية، فكان هدف "بيف"هو جمع المعلومات المتعلقة بشخصية الأديب، وتدوين سيرته الذاتية.

وظهرت في مجال التحليلي النفسي نظرية الغشطالت، فقال عنها ريتشاردز أنها: «اجتهدت في تطوير ذاتها مستثمرة نظرية المنعكس الشرطي"، وتأثيرات فرويد.. لست أقول إنها عاجزة، إذا ما عدّلت عن تزويدنا بنظرية عملية في المعنى»[7].

أشاد ريتشاردز بأهمية نظرية القشطالت في تحديد طريقة التحليل النفسي للظواهر الأدبية، واستفادت من مفاهيم المنعكس الشرطي، ووجدنا ريتشاردز غير متفائل من نتائج نظرية فرويد في التحليل النفسي وطالب بتعديلها «ومما لاشك فيه أن مدرسة التحليل النفسي قدّمت للأدب

والفن خدمات جليلة... في تعمق الصور الفنية غير أن لهذا المنهج في دراسة الأدب ونقده آثارًا سلبية، وهي انتقادات لاتُبطل منهج التحليل النفسي من أساسه بقدر ما تسعى إلى مناقشته وإثرائه»[8].

لا يسعنا في هذا المجال ذكر كل محاسن التحليل النفسي، ومنها التعمق في تحليل الصورو ربطها بشعور للأديب، ونجد أنه على الرغم من الانتقادات المتتالية، إلا أنه استطاع الصمود، وظهر الفرق بين ممارسة فرويد وبقية النقاد في أن فرويد نظر إلى النصوص الأدبية على أنها وثيقة طبية كشفت له عن عقد الأديب، وأما بقية النقاد اعتبروا النصوص الأدبية وثيقة جمالية، وهنا ظهر طابع المفارقة في آراء النقاد .

2-علاقة علم النفس بعلم البلاغة :

ربط النقاد في أبحاثهم بين التحليل النفسي وعلم البلاغة «فهذا الباحث ريتشاردز الذي لم يكتف بالبحث النظري بل حاول أن يبحث تطبيقيًا عن تأثير العمل الأدبي في قرائه...ومع أن الطريقة التي استخدمها الأستاذ لاتصل إلى نتائج تقريرية بقدر ما تصل إلى ملاحظات وصفية، فإن تعقيبه عليها يوجد الثقة في النفس، فهو تعقيب متزن ملاحظ فيه وظيفية الأدب، ومجال النقد للأدبي مع التفرقة الكافية بينها» [9].

حاول ريتشاردز تقديم نوع جديد من القراءة النفسية للنصوص الأدبية بالاعتماد على إعمال الذوق الفني، وقراءة النصوص الأدبية من خلال تحليل الانطباعات النفسية التي يقدمها القراء في شكل ملاحظات وصفية حول النص الأدبي المقروء.

وتجدر الإشارة أنه هناك فرق بين النقد النفسي الأدبي والتحليل النفسي العلاجي فالأول مجاله الأدب وهدف الناقد فيه إبراز جمالية المضامين النفسية، وأما الثاني فله علاقة بعلم النفس العيادي، ولاحظ النقاد بأنه على الرغم من محدودية القراءة النفسية للأدب عند ريتشاردز إلى أنه نجح في تقديم طريقة جديدة « والتقريب بين البلاغة واللفظية المنحرفة للرغبة، يبرز الميل الواضح داخل التحليل النفسي»[10].

إن البلاغة أفضل منهج للكشف عن الظواهر النفسية في الأعمال الأدبية، ونشأت علاقة جيدة بين علم النفس والبلاغة، وتزايد البحث عن المضامين النفسية من خلال الاشتغال النفسي وفق رؤية بلاغية، وفي سياق متصل «كرس رتشاردز كل إنتاجه للكشف عن كيفية توصيل هذه

التجارب للقارئ..؛ أي لتوضيح العلاقة بين الجمهور والقصيدة لا العلاقة بين الشاعر والقصيدة، وقد سمى هذا الميدان ذات يوم "تفسير الدلالات "وأخيرًا سماه"ريطوريقا" واليوم عاد إلى تسميته "تفسيرًا" ».[11]

ركز ريتشاردز على التلقي الجمالي للشعر وآثاره النفسية والجمالية على القراء واهتم بتحليل الدلالات بلاغيًا، ومن المفارقة أننا نجده لم يستقر على تسمية جهده بلاغة أوتفسير، ولكن الأهم أنه مجدد، ونقول بوجود مساوئ للتحليل النفسي«فالنظرة الأحادية إلى الأعمال الأدبية والنقدية من جانب واحد هو الجانب السيكولوجي»[12].

مما هو معلوم أن الأعمال الأدبية فيها من الظواهر الفنية والنفسية والاجتماعية التي يجب على الناقد إضاءتها، ونجد أن التحليل النفسي غفل عن عناصر بناء النص الأدبي، وإضاءة الجوانب الاجتماعية والسياسية واللغوية فيه .

ثانيًا – أهم مقاربات التحليل النفسي في البلاغة العربية:

أكدت الدراسات النقدية على وجود إرهاصات للتحليل النفسي في البلاغة العربية تمثلت في العديد من الملاحظات النفسية حول الأدب العربي .

1 –معالم النقد النفسي في البلاغة العربية :

لاحظ النقاد وجود ملاحظات نفسية في التراث البلاغي العربي، وهذه الملاحظات بمثابة« ملامح النقد النفسي عند النقاد العرب القدامى، نذكر منهم على الخصوص :ابن قتيبة في كتابه"الشعر والشعراء"والقاضي الجرجاني في كتابه الوساطة، وربما كانت الملامح النفسية أوضح عند عبد القاهر الجرجاني في كتابيه الدلائل والأسرار»[13].

ظهرت إرهاصات النقد النفسي عند علماء البلاغة في شكل ملاحظات عفوية متناثرة حول مقتطفات من أبيات شعرية، وتطورت هذه الملاحظات النفسية في ثنايا المصنفات البلاغية، ولم يكن لها عنوان واضح مستقل بذاته، وإنما عرضها علماء البلاغة في إطار التحليل البلاغي للظواهر الأدبية، وتجلت الملاحظات النفسية عند ابن قتيبة وعبد العزيز الجرجاني وابن طباطبا بصفة عامة، وكانت الممارسة النفسية واضحة في بلاغة عبد القاهر، ونجد أن « المقياس النفسي من مقاييس

نقد المعنى ويعني به نقاد العرب وزن الشعر بمقدار ما يُحدثه في النفس من أثر، وما يوحي به من شعور، وجعل "العمدة"(لابن رشيق) هذا المقياس أساسًا لنقد الشعر »[14].

شكل المنظور النفسي منطلق عمل علماء البلاغة في تتبعهم الدقيق لأثر المعاني الأدبية في نفس المتلقي، و، وهي بمثابة تحريات نفسية بلاغية في الأدب، وفي سياق متصل أمين الخولي يقول: «إن مدار البلاغة هو يقظة القارئ الوجدانية »[15].

وضَّح أمين الخولي طبيعة العلاقة بين البلاغة والتحليل النفسي، وذلك في أن البلاغة العربية سعت لترقية ذوق المتلقي ويقظة شعوره نحو فهم الأدب، وفي سياق متصل يرى سيد قطب بأنه على« رغم هذا الاتصال الوطيد لم أرَ من القدماء من لمح هذا الارتباط، فيما لمحوا من صلة البلاغة بمختلف العلوم والأبحاث مع أن علم النفس كان من معارفهم، وبين أقسام فلسفتهم .... وكانوا يقصدون ما للبحث النفسي الوقوف على حقيقية النفس وقواعدها»[16].

كان هدف علماء البلاغة حسب سيد قطب هو تحليل النفس المبدعة، والكشف عن جوانبها النفسية دون التعمق في ذلك، وتعرضوا للملاحظات النفسية في النصوص الأدبية « وتكلموا عليها غير أنهم ذهبوا بعيدًا في تنظيرهم فقد رأوا إلى أن الفعل الأدبي يرتبط أشد الارتباط بالتركيب النفسي لصاحبه»[17].

نلاحظ أن أنماط التلقي المرتبطة بنفسية المتلقي أو بعقله تجلت في استجابات نفسية عبرت عن مدى تقبل أو نفور القارئ من النصوص الأدبية، ولاحظ علماء البلاغة ارتباط التجربة الشعرية للأديب بموهبته الأدبية « وإذا ما نظرنا النظرة الأولى إلى البلاغة على هذا البيان القريب لها، وجدنا محاولتها والفنية في القول، ليست إلا تتبعًا لمواقع رضا النفس، وعناية بالتأثير فيها، ومن هنا تتصل بعلم النفس وتحتاج في فهم علماء البلاغة أن فن الأدب أُريد به إرضاء المتلقي »[18].

ركز التنظير البلاغي العربي حول التلقي النفسي، فقدموا الآراء في إطار مراعاة الأديب لأحواله المتلقي« ويتحدثون عن التشويق وطلب الإصغاء ومواضع ذلك ووسائله والطرق القولية المثيرة له... وأنواع الربط بينها فيما يبينونه من جامع وهمي أو خيالي أو عقلي، وحقائق تلك الحركات النفسية، وفرق ما بينها في تعمق إلى غير ذلك من مظاهر الاعتماد القوي على الخبرة بالنفس الإنسانية اعتمادًا يدل على العلاقة الوثيقة بين البلاغة وعلم النفس»[19].

دخلت شروح علماء البلاغة للحالات النفسية المختلفة ضمن التحليل النفسي الحديث، وشكلت الظواهر النفسية في النص الأدبي حالات شعورية عاشها الأديب أو الانفعالات التي انتابت المتلقي أثناء قراءته للنص الأدبي في ما يعرف بالقراءات النفسية المرتبط بالمتلقي وأحواله الشعورية، ولاحظنا مبالغة علماء البلاغة في العناية بالجوانب النفسية للمتلقي، ومالوا إلى ترجيح كفة العملية الإبداعية لصالحه .

2– مقاييس النقد النفسي البلاغي :

ظهرت بوادر التحليل النفسي في البلاغة العربية، وهي في حقيقتها ملاحظات نفسية، وإنه لمن المبالغة أن نقول بوجود معايير للنقد النفسي في البلاغة العربية ولكننا طرحنا هذه المسألة من منظور البحث المتناول، وأهم المعايير النفسية:

أ–البواعث النفسية للشعر العربي:

اهتم علماء البلاغة برصد العوامل النفسية المؤثرة في نظم الشعر العربي، ومنهم ابن قتيبة حيث تناول « بعض النواحي الفنية والمكانية من إنتاج الشعر، فذكر أن للشعر دواعي تحث البطيء وتبعث المتكلف منها: الشرب والطرب والطمع والغضب والشوق...ووصف ابن قتيبة كذلك الأماكن والأوقات التي يسرع فيها أتي الشعر»[20].

دخلت الملاحظات البلاغية التي قدمها ابن قتيبة ضمن النقد الأدبي النفسي ؛لأنه تعرض للحالات النفسية التي تفاعل معها الشاعر هي البواعث النفسية غذت تجربته الشعرية، وكانت وقوده لنظمه الشعر، ومع وجود محفزات كالأماكن والأوقات المميزة التي شحذت قريحته للكتابة « ويعرض ابن قتيبة للأسس النفسية التي نهضت عليها تقاليد القصيدة العربية، فيقول:"إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والآثار، فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببًا لذكر الأحبة، ثم وصل ذلك بالنسيب»[21].

حصل تناسق وتماثل في بناء القصيدة العربية مع حالة الشاعر النفسية، فالكلمات الأدبية صادرة من مداد روحة وهي نبراس آماله، ونلاحظ أن جميع مراحل نظم القصيدة رافقتها حالات شعورية للشاعر، وهي فرصة له للتنفيس عن مشاعره«وإذا كان حازم ركز على الاختلاء أو الخلوة، وعلى تسريح العين في الطبيعة لكونهما باعثين أساسيين في عملية الإنتاج الشعري، فابن

قتيبة رأى أن الشعر يكون متدفقًا ومسترسلًا في أول الليل وصدر النهار، ولكن ابن رشيق يقف ضدًا لابن قتيبة، فهو يرى إلى أن الوقت المفضل لنظم الشعر لا يكون إلا في الأسحار». [22]

يرى ابن قتيبة أن أحسن الأوقات لنظم الشعر في الضحى وبداية الليل، وأما ابن رشيق فخالفه الرأي بقوله أن الشاعرية تتدفق في الأسحار؛ لأن السحر هو وقت يقظة فكرية للشاعر، واعتبر حازم أن فراغ الذهن وخلو الشاعر بنفسه هو أهم عامل لتحرك مشاعره ، وهنا اختلاف في تحديد الأوقات المناسبة لنظم الشعر، غير أن إجماع علماء البلاغة في أن أفضل هو بداية الليل، وتحدث علماء البلاغة عن بواعث الشعر، ومنها الراحة النفسية التي تمنح للشاعر قوة التصوير في عوالم الخيال.

نلاحظ أن البواعث النفسية عبارة عن أماكن وأوقات وأشخاص مؤثرة في مخيلة الأديب تدفعه للإبداع، وهنا ترسخ فهم جديد بحث في علاقة الأديب بنصه« فثمة ربطًا مكينًا قد حصل بين التوتر النفسي، نتيجة غضب أو طرب وبين الإبداع الإبلاغي في الشعر، فيغير هذا التوتر أو الانفعال لن يتأتى الشعر..وعُدَّ الرثاء بنظر العديد من النقاد والشعراء العرب بأنه أصفر الشعر؛ لأنه لا يعمل رغبة ولارهبةً »[23].

إن الشعر العربي وليد النفس الجياشة المحبة والمبغضة، ومن هذا المنطلق حصل تصنيف الأعراض الشعرية حسب تأثيرها في المتلقي، فإذا كان الرثاء آخر الأغراض في التأثير النفسي على المتلقين، فنتصور أن المدح والهجاء في طليعة مؤشر التأثير النفسي، وكان فهم الحالة النفسية للشاعر مبعث للتنظير النفسي عند بعض علماء البلاغة، فتحدث ابن طباطبا عن الحالات«التي يتركها الأثر الشعري في نفس المتلقي وما يعرف اليوم بمعاني النص عنده عن ارتباط القصيدة بسيكولوجية المتلقي». [24]أ

تعرض ابن طباطبا لأثر الشعر في أحوال المتلقي، واعتبر أن فعل تلقي القصيدة مرتبط بالأحوال النفسية للقراء، وترك فهم جديد للتلقي في كونه مرتبط ببواعث نفسية تتجلى في استجابة المتلقي للقصيدة ومعايشته للحالة التي تمثلها الشاعر، وهو ما عُرف بسيكولوجية التلقي«وكذلك الألفاظ التي يستخدمها ابن الأثير(حلوة، حادة) هي من هذا النوع الذي يصور لنا خبرة حسية تتقاسمها الحواس جميعًا كما بين العسكري» [25].

نلاحظ توافق رأي ابن الأثير مع العسكري على أن خبرة المؤلف النفسية هي قاسم مشترك بين الأدباء في التأليف والإبداع، وفي سياق متصل ذهب العسكري إلى قوله قوله:« والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ».[26]

وهذه حقيقة فطرية أكدها النقاد حديثًا، فالمتلقي يتذوق النص الشعري بحواسه فيرتاح في حالة تلقيه للمعاني الجيدة مثلًا في سياق المدح، وينفر من المعاني السيئة في سياق الهجاء يقول ابن طباطبا: «والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها وتقلق مما يخالفه، ومن هذا النص يتضح لنا مدى التشابه الذي نلحظه في تفسير الجمال والقبح على أساس حسي عند أولئك المفكرين وعند ابن طباطبا في كتابه النقدي». [27]

جعل ابن طباطبا فهم الشعر والتلذذ به عن طريق الحواس، وأكد على حقيقة ارتباط النفس البشرية بما تحب ونفورها مما تكره، وهنا أسس ابن طباطبا تحليله للجمال الأدبي على اعتبار حسي، وهنا نلاحظ توافق آراء كل من ابن طباطبا والعسكري وابن الأثير حول تدخل الرغبة النفسية للمتلقي في التلقي، وفي سياق متصل يقول عبد القاهر في معرض تأويله لبيت الشاعر محمد بن وهيب:«

وبَدَا الصَبَاح كَانَ غُرتُه**وَجْهُ الخَلِيفَة حيْنَ يمْتَدِحُ.

والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها ضرب من السرور خاص، وحدث بها نوع من الفرح عجيب، فكانت كالنعمة لم تكدرها المنة »[28].

لاحظ عبد القاهر أثر معاني المدح في نفس المتلقي وهو الخليفة، فارتاحت نفسه للمدح وتلذذت، ومثل هذا الحال كثير في الشعر العربي، وسجل النقاد تعمق حازم القرطاجني في البحث عن المؤثرات النفسية« فيأخذ على عاتقه التنظير لما بين العملية الإبداعية، وأحوال النفس من علاقات وروابط فما نصطلح عليه اليوم تحت اسم "الانفعالات النفسية " خلع لقب البواعث المؤدية إلى جيشان القريحة الشعرية وفيضها، فعلى رأي حازم ثمة أكثر من باعث إلى قول الشعر ونظمه هناك الرحيل عن ديار ترعرعنا فيها، وفراق من أجببنا وألفته قلوبنا، ثم هناك الباعث الناتج من ألم أو غضب، لكن الأهم بين بواعثه هو الوجد والعشق والاشتياق إلى الحبيب»[29].

تحدث حازم عن أهم بواعث الشعر العربي، ومنها:الغضب والحب والحنين ، وهي تتراوح بين ثنائية الحب أو الكره، فالحب والشوق والعشق كلها مشاعر منحصرة في بوتقة واحدة تحفز الشاعر

على البوح، وكذلك الغضب والكره والألم هي أيضًا بواعث للتنفيس عن المشاعر في أغراض الحنين والرثاء والهجاء، ونظرًا للارتباط الوثيق بين الإبداع الشعري وحالة الشاعر النفسية، نجد أن علماء البلاغة«أجروا ما يشبه الإحصاء أو التقسيم للبواعث التي تثير انفعالًا نفسيًا يُسهم في العملية الإبداعية والإبلاغية لدى عدد من مشاهير الشعراء العرب، ولعل هذا الإحصاء أو التقسيم يأتي نتيجة اختبار ومعاينة طويلة، فقد كان امرؤ القيس أشعر الناس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب... وفي حال المبالغة في استثمار الباعث النفسي الدافع تنخفض درجة التعبير كما أن الصورة الشعرية تفقد كمية من بريقها ووقعها، لذا فالانفعالية ينبغي أن تشترط بشرط الاعتدال»[30].

نلاحظ دقة المعالجة للبواعث النفسية للشعر عند علماء البلاغة، حيث ربطوا العوامل النفسية في نظم الشعر بأوضاع وأمكنة محددة تتفاعل من خلالها نفس الشاعر للبوح، ومنها أن أفضل حالة جعلت النابغة يقول الشعر هي الخوف، وزهير في رغبته والأعشى في طربه.

ونذكر من فوائد التحليل النفسي في الشعر التعمق في فهم الصورة البلاغية وتحديد درجة غموضها، فيعمد الشاعر إلى المبالغة في الغموض إلى درجة تعمية المعنى أو يميل بالصورة الشعرية إلى المفهوم المتداول فيسأم المتلقي، ولذلك نصح علماء البلاغة بالاعتدال، فقد يسمح سياق الشعر ببعض الشطحات الخيالية، ولكن الإغراق في الخيال يفسد الألفة بين المتلقي والقصيدة.

ب-معيار الطبع في الكتابة الأدبية:

نجد أن مفهوم الطبع مخالف للصنعة في الكتابة الأدبية، وكان الطبع من مداخل التحليل النفسي عند علماء البلاغة العربية«ولقد كان القاضي الجرجاني سباقًا إلى إيجاد وثاقٍ مكين فيما بين الطبع (كتكوين نفسي) وبين الفعل الأدبي..فابن رشيق يشبه بيتًا من الشعر ببيت للسكن(قراره الطبع وسمكه الرواية ودعائمه العلم وبابه الدربة)وإذا لم يتوسع البلاغيون والنقاد العرب القدامى في إعطاء معنى محدّد وصارم لمسألة الطبع غير أنهم رأوا إليها تلك الموهبة أو الطاقة الانفعالية الفطرية»[31].

نلاحظ أن للطبع مفاهيم متقاربة متعلقة بنفس الأديب وعدم اصطناعه للمواقف والحالات الشعورية ومعايشته للنص الأدبي، ومما هو معلوم أن التأليف الأدبي وليد الطبع والفطرة الإنسانية وما اتصل بخواطر الأديب، ويقول عبد القاهر في كتابه أسرار البلاغة «ومعلوم أن العلم الأول

أتى النفس أولًا من طريق الحواس والطباع فهو إذن أمس بها رحمًا، وأقوى لديها ذمًا، وأقدم لها صحبة وأكد عندها حرمة، وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض، وبالفكرة في القلب إلى ما يدرك الحواس أو يعلم الطبع وعلى الضرورة ...فأنت إذن مع الشاعر وغير الشاعر، إذا وقع المعنى في نفسك غير ممثل، ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب»[32].

يرى عبد القاهر على أن المعرفة وليدة الحواس، وذهب إلى المفهوم المتداول لدى عامة الناس أن الكلمة التي تخرج من قلب المؤلف تدخل إلى قلب المتلقي، وفي سياق متصل يرى حازم أن «النظم صناعة آلتها الطبع، والطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري»[33].

اعتبر حازم القرطاجني أن الطبع أساس الكتابة الشعرية الجيدة ، فالطبع هو عامل نفسي يفعل المنتوج الشعري؛ لأن الشعر يُعبر عن العواطف الجياشة، ولذلك كان الطبع مدخل لفهم الشعر«وربط حازم بين ما تجيش به النفس أي الطبع وبين الفعل الإبداعي غير أن ما ميّز هذا الناقد أنه طوّر مفهومًا للطبع لم يكن معروفًا للطبع إلى زمانه ومرد ذلك على الراجح أن توكّأ في مساعيه إلى تحديد مفهوم للطبع على ثقافة واسعة اختص بها، وانشعبت إلى مناطق معرفية عدة»[34].

جعل حازم القرطاجني بين الطبع والفعل الإبداعي في النظم الشعري، ومفهوم الطبع عنده أدق وأوضح، حيث أخرجه من المفهوم البلاغي الضيق، والذي قابل فيه مفهوم الصنعة والتكلف، واعتبر طبع الشاعر حالة شعورية يمر بها الأديب تدفعه للإبداع فالمشاعر تتجلى كسيل من المعاني وتتدفق في إطار قوالب تصويرية، وهنا فهم بلاغي للشعر بأنه عمل نفني ذو طابع نفسي، وهو متنوع حسب اختلاف الشعراء وأذواقهم الفنية .

ج-مطابقة الكلام لحال المتلقي :

اعتبر علماء البلاغة لمعيار موافقة الكلام لحال المتلقي مهما نوع الكتابة الأدبية وفي هذا الصدد «ذهب الجاحظ مذهبًا جديدًا من أجل مطابقة الكلام لمقتضى الحال إلى حد يجعله يدعو إلى اللحن ومجانبة الإعراب إذا اقتضى المقام ذلك»[35].

قد ينزل الأديب في مستوى التعبير الأدبي لعامة الناس، وقد يخالف أحيانًا قواعد اللغة العربية من أجل تحقيق معيار مطابقة الكلام لحال المتلقي وتحقيق التواصل الجيد معه، ويقوم هذا الاعتبار

على أساس نفسي، وهنا يقول ابن طباطبا «والشاعر إذا أسس شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد ...ويتعمد الصدق الفصيح والوفق في تشبيهاته وحكاياته، ويحضر لبه عند كل مخاطبة وصف، فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقى حطها عن مراتبها وأن يخلطها بالعامة، كما يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك»[36].

طلب ابن طباطبا من الشاعر مراعاة مقام المتلقي، فيخاطب الملوك مما يناسبهم من المعاني الراقية، وأن لا يرفع العامة لمستوى حديث الملوك، بل يخاطبهم بقدر فهمهم وفي سياق متصل يقول حازم القرطاجني:« ومن المعاني التي ليست بمعروفة عند الجمهور ما يستحسن إيراده في الشعر، وذلك إذا كان مما فطرت على الحنين إليه أو التألم منه، وبالجملة على ما تتأثر له النفس تأثير ارتياح بحسب مايليق »[37].

تحدث حازم القرطاجني على ضرورة موافقة الكلام الأدبي لحال المتلقي، وأن يرتفع الأديب بالمعاني الأدبية عن ما يتداوله عامة الناس، وشكلت الخلفية النفسية منطلق علماء البلاغة في معرفة«مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، ويشرح ون هذا المقتضى بأنه الاعتبار المناسب الذي يلاحظ، ويتحدثون عن إنكار السامع لما يلقى إليه أو موافقته عليه خلو ذهنه.... وليس هذا فقط مظهر وصل بالبلاغة بالأبحاث النفسية عندهم، بل هم يعرضون لتلك كثيرًا حين يتحدثون خلال أبواب البلاغة عن الأبواب النفسية، وما تقتضيه وما يلائمها من مظاهر كلامية »[38].

اهتم علماء البلاغة في بحوثهم البلاغية بالجوانب النفسية للمتلقي، وموافقة الكلام الأدبي لمزاجه الخاص، ولا يُعتبر الكلام بليغًا في نظرهم حتى يوافق ذوق المتلقي وربط علماء البلاغة بين حال المخاطب وأنواع الخبر في الكلام، وجاء تقريرهم لمعيار المطابقة لهذا الاعتبار المناسب في موافقة الكلام لأحوال المتلقي النفسية.

د–الآثار النفسية للتخييل :

لاحظ علماء البلاغة أن التخييل يؤثر في نفس المتلقي، فبداية نجد أن « معاني التشبيه الشعرية ارتبطت عند ابن طباطبا بحالات النص النفسية، وبحالات القارئ النفسية أيضًا، مضيفًا إلى المحاكاة الفنية التي تحدث عنها أرسطو سيكولوجية التخييل، والتي تحدّث عنها الفيلسوف

الإسلامي ابن سينا ولاشك أن الرماني يلمح إلى الأثر النفسي للبلاغة؛لأن البلاغة المعجزة هي الأشد تأثيرًا في النفوس..فالرماني تنبه إلى أهم ركن في جمال الاستعارة هو الأثر النفسي»[39].

نجد أن التخييل محفز نفسي للتلقي الجيد، فكلما زاد غموض الصورة الشعرية كلما زاد إقبال المتلقي للنص الأدبي، ولذلك نجد أن التعابير الاستعارية تعدت الجمال الفني إلى التأثير النفسي في المتلقي، وجعله يبدي استجابة تتوافق مع غاية الأديب، « وهو ما ندعوه هنا القدرة التخيلية أو المخيال يرتبط بقناة تصله بالغريزة، وانطلاقًا من هذه المقولة فإن النفس في حالات الاشتياق والانفعال»[40].

لاحظ علماء البلاغة أن للتخييل أثر كبير في شد انتباه المتلقي لجو النص الأدبي والتأثير فيه على نحو خاص، وتحدث عبد القاهر عن أثر التمثيل في نفس المتلقي في قوله:«إن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس»[41].

ظهر أثر التمثيل في معرض المعاني الأدبية أنه يرفع من قدرها ويوضحها، ويجعل المتلقي أكثر تعلقًا بالنص الشعري ويتعهده بالتأمل العميق، وهنا تحدث علماء البلاغة عن الأثر النفسي للصور، ويرى حازم أنه يتوجب على«الشاعر أن يبني كلامه على تخيل شيء بشيء من الموجودات ليبسط النفوس له أو يقبضها عنه»[42].

تحدث حازم القرطاجني عن أثر النفسي للتخييل في المتلقي، فالشاعر في مقدوره رسم البهجة في وجه متلقيه، أو العكس، وتحدث العلماء«عن التخييل ولعبه بالنفس وعن التخييل حتى ليغلط المرء حسه، وهم الذين يذكرون الإيهام والوهم »[43].

كشف علماء البلاغة عن أثر التخييل في المتلقي، فيقع التخييل في نفسه على ضرب من إيهامه بحالة مفارقة للواقع المألوف، فيفرح المتلقي شوقًا ويفتخر حماسًا .

ثالثًا–التحليل النفسي عند عبد القاهرالجرجاني في ميزان النقد والمقارنة:

نضع جهود عبد القاهر في التحليل النفسي في سياق المقارنة مع علماء البلاغة في عصره، وأيضًا المقارنة مع بعض أعلام النقد النفسي الغربي، والهدف من ذلك هو إبراز حداثة المفاهيم عند عبد القاهر وقدرتها على الاستمرارية في النقد الحديث.

1-التحليل النفسي بين عبد القاهر الجرجاني وعلماء البلاغة :

مما هو معلوم أن علماء البلاغة كان لهم قصب السبق في إبداء ملاحظات نفسية حول الأدب، واستفاد عبد القاهر الجرجاني من هذه الملاحظات واستفاد منها.

أ- التحليل النفسي بين العسكري وعبد القاهر الجرجاني :

من مزايا العسكري أنه جمع مباحث بلاغية، وعرضها بطريقة جيدة في كتابه الصناعتين «والعسكري يبني تصوره لفضل الاستعارة على فكرة التأثير النفسي، وهي الفكرة التي قام عليها كتاب عبد القاهر، ولكن بنى المؤلفين فرقًا ظاهرًا له دلالته؛ذلك أن العسكري قليل التوسع في النواحي النظرية، كثير الحفل بالشواهد والنصوص وبالموازنة بين بعضها وبعض، وأما عبد القاهر فعلى العكس من هذا تهمة النظرية أولًا يتعهدها بالشرح والتقرير والاعتراض والرد ثم يجلب النص ليؤيد وجهة النظر»[44].

أشاد العسكري بالبناء النفسي للصورة الشعرية، وذكر الاستعارة دون التعمق في تحليل أثرها النفسي على المتلقي، وأما عبد القاهر فتعمق في بحث دلالة الاستعارة وآثارها على المتلقي، وطبق تحليل نفسي، فزاوج بين الفكرة والشاهد الأدبي، وفي حديثه عن أهمية الاستعارة المفيدة يقول عبد القاهر:« وهي أمد ميدانًا وأشد افتنانًا وأكثر جريانًا، وأعجب حسنًا وإحسانًا، وأوسع سعة، وأبعد غورًا..ويمتع عقلًا ويؤنس نفسًا»[45].

نجد إعجاب عبد القاهر الجرجاني بنوع الاستعارة المفيدة، فهي عميقة للدلالة على المعاني الأدبية وتأثيرها في نفس المتلق، ونشهد لعبد القاهر بالتوفيق في تقديمه للملاحظات النفسية والتفوق على العسكري.

ب- التحليل النفسي بين أبي الحسن وعبد القاهر الجرجاني :

قدم عبد العزيز الجرجاني في كتابه الوساطة تحليلًا لبعض الظواهر الشعرية وحاول التوسط فيما بينها«وهو لون من ألوان التفكير في الأدب صوره أبو الحسن الجرجاني تصويرًا يكاد يذكرنا المنزع السيكولوجي الحديث في تحليل المواهب عامة ومواهب الأديب خاصة...وقد لاحظنا كيف تطورت هذه الطريقة على يد عبد القاهر حتى أصبح يعول عليها في كثير من المواطن الذوقية،

فنستطيع أن نقول هنا إن أحد التيارات التي أثرت في التفكير السيكولوجي الذوقي عند عبد القاهر، إنما انحدر إليه من شيخه أبي الحسن الجرجاني»[46].

كانت طريقة تحليل عبد العزيز الجرجاني للنماذج الشعرية وفق التوجه النفسي ونلاحظ وجود توافق بين أبي الحسن وعبد القاهر، وهو ما دَّل على التأثر الإيجابي بينهما، غير أن عبد القاهر أكثر توسعًا من عبد العزيز في تحليله لمظاهر الإبداع.

2- التحليل النفسي بين عبد القاهر الجرجاني ونظريات التحليل النفسي :

تجدر الإشارة أن الدراسات النقدية الحديثة ركزت في معظمها على التراث البلاغي العربي، وفيها من قام بعقد مقارنة بين عبد القاهر ونظريات التحليل النفسي ووجد النقاد الكثير من التقاطعات بينهما، ومنها ما أقره أحد الباحثين حول سبق عبد القاهر لنظريات النقد النفسي«فلم يترك لهم مجالًا للريادة عليه، وذهب باحث ثاني إلى أن فكرة اللفظ الذي يتحمل بمعناه عند عبد القاهر توافق مايراه "علم النفس اللغوي" وهي ملموسة عند شارل بلوندل ونودييه وجوبير، وكما أن عبد القاهر قد أكد ما أسماه دوماس في الموسوعة النفسية (الحاسة الجمالية أو العاطفة الجمالية)...ويضيف باحث ثالث إلى هذا الطابع الجشطالتي دعوة عبد القاهر إلى ما يسميه المحدثون الفحص الباطني، ويلحق باحث رابع دراسات عبد القاهر مع ابن طباطبا وابن رشيق وابن قتيبة بدراسات سيكولوجية التذوق، ويرى باحث خامس أن عبد القاهر قد تنبه إلى ما تنبه إليه بعده بمئات السنين باحثون من أمثال والاس ومدنيك وجيلفورد من أن الإبداع هو النشاط النفسي الذي به يتوصل إلى الإنتاج والانفصال »[47].

وهذه نماذج من النظريات النفسية الغربية، والتي حصل التوافق بينها وبين آراء عبد القاهر، والجوانب التي توافق فيها عبد القاهر مع أكثر النظريات الغربية ذات التوجه التحليل النفسي من علم النفس اللغوي الجشطالتي والاستبطان الذاتي وسيكولوجية التذوق هي التحليل العميق للتصوير البياني، والكشف عن أثره في المتلقي من خلال الانفعالات التي ظهرت في حالات الراحة أو الانقباض، وتوصل مبكرًا إلى مفهوم أن الإبداع هو نشاط نفسي«ويكاد يخيل للإنسان أن الجرجاني يكاد يقول نظريته المثل الجمالية الخارجية التي تنكشف للنفس المهذبة وتحدث فيها على صورة الإلهام»[48].

تحدث عبد القاهر عن حقيقة الإبداع النفسي في الشعر العربي بلغة الناقد النفسي الحديث، ووجدنا استفادته من جهود سابقيه في تقديم مفاهيم نفسية جديدة في البلاغة وهو ما أعطى الأمل في التأصيل لنظرية نفسية عربية في تحليل الخطابات الأدبية ولكننا وجدنا في المقابل من النقاد حذر من خطورة المعالجة النفسية على الأدب، وهذه حقيقة أكدها سيد قطب في قوله:«إنه لجميل أن ننتفع بالدراسات النفسية، ولكن يجب أن تبقى للأدب صبغته الفنية، وأن نعرف حدود علم النفس في هذا المجال»[49].

هنا نجد دعوة للمحافظة على الحدود النظرية لكل علم، فالبلاغة العربية لها فلسفتها الخاصة بها في التأويل الأدبي، ولعلم النفس حدوده النظرية في فهم وتحليل الظواهر الأدبية، ولكل مجال غاياته وأهدافه، ولكن هذا لا يمنع من حدوث تقاطع بينهما بحكم توحدهما في موضوع الدراسة وهو فنون الأدب، وذهب ناقد آخر إلى القول بأن «أن عبد القاهر حاول أن يشرح الدلالات النفسية لا أشكال التعبير»[50].

اهتم عبد القاهر بشرح دلالات المعاني النفسية وأثرها على أنواع المتلقين، ولم تكن غايته البحث عن الصياغة التعبيرية، وأكدت الدراسات النقدية الحديثة أن عبد القاهر ركز على تحليل العلاقات بين المعاني الأدبية، وفهم الدلالات النفسية في النصوص والخطابات الأدبية، ولنتأمل في مقولة عبد القاهر الجرجاني :«وأعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب(النظم) موقعًا من السامع، ولا يجدُ لديه قبولًا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تحدّثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحُسن واللّطف أصلًا، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمّل الكلام، فيجد الأريحية تارةً ، ويعْرى منها [51]أخرى وحتى إذا عجّبته عجب، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه».

تحدث عبد القاهر عن ضرورة توفر المعرفة مع الذوق، ليتمكن المتلقي من تميز الكلام الجيد من الردئ وليكون في يقظة نفسية وتحسس مواضع الجمال الأدبي، وهنا تربية خاصة لنفس المتلقي على تذوق الجمال الأدبي .

ومن المفارقات بين عبد القاهر الجرجاني وزعماء النقد النفسي أنه« لم تستند فكرة النظم عند عبد القاهر إلى معطيات شبيهة بمعطيات العلمين المعاصرين الشهيرين: علم نفس اللغة وعلم اللغة النفسي لم تستند إلى معطيات علم نفس اللغة في صورته التحليلية كما هي عند فرويد في دراسته للهفوات أو في صورتها التكوينية عند جان بياجيه أو في صورته السلوكية عند سكنز أو هل أو

ثورنديك، ولم تستند إلى معطيات علم اللغة النفسي أو لنقل اللسانيات كما هي عند شانون أو أوزجد، لكنها استندت إلى نظرية قريبة من متناول عبد القاهر هي علم نفس الملكات»[52].

سلك عبد القاهر توجه مخالف لعلم نفس اللغة عند فرويد في تحليل العبارات وزلات القلم ، أو الحديث عن الدواعي الخفية وراء التعابير في علم اللغة النفسي عند شانون أو أوزجد، فوضع عبد القاهر علم نفس الملكات، وبحث في تفاعلها مع الأدب وفي سياق متصل لاحظ عاطف جودة «إتباع حازم للمنهج النفسي القائم على فكرة الملكات، ورأى فيه نظرة جشطلتية، ونزعة آخذه بفكرة التجارب واللحظات المنفصلة المبنية على قانون التداعي »[53].

توسع حازم في التحليل النفسي المعتمد على مفهوم الملكة والموهبة المتميزة التي يتمتع بها الفنان أو الأديب، وهنا نجد توافق رأي حازم مع عبد القاهر حول أهمية الملكات النفسية في الإبداع، فلهما رؤيته متقاربة مع الجشطالت في طريقة التحليل.

3–نحو تأصيل نظرية نفسية بلاغية عربية :

لاحظ النقاد إمكانية التأصيل لنظرية نفسية عربية، فبحث خلف الله عن الجذور السيكولوجية في البلاغة العربية، وتوصل إلى اعتبار أن كتاب عبد القاهر « أسرار البلاغة رسالة نفسية ذوقية في نواحي التأثير الأدبي فكرتها الرئيسية هي أن مقياس الجودة الأدبية تأثير الصورة البيانية في نفس متذوقها»[54].

اهتم عبد القاهر كثيرًا بالتحليل النفسي لأثر الصور البلاغية في المتلقي، وصحيح أن بوادر التحليل النفسي في البلاغة العربية سبقت عصر عبد القاهر، وأكد النقاد بوجود معالم النظرية النفسية«وأما الملاحظات النفسية بصفة عامة في فهم الأدب ونقده، فهي أقدم من ذلك كثيرًا في الأدب العربي لأنها عاصرته منذ عصر الإسلام وتمشت معه في نموه حتى بدت في هيئة قواعد نظريات على يد عبد القاهر»[55].

لاحظ النقاد أن إرهاصات التحليل النفسي في التراث النقدي والبلاغي بدايتها منذ العصر الإسلامي، وتوالت الملاحظات النفسية في ثنايا المباحث البلاغية حتى وصلت إلى عبد القاهر الجرجاني، وصاغها صياغة نظرية جديدة، وحاول محمد خلف الله «تفسير بعض آراء عبد القاهر الجرجاني على أساس من علم النفس »[56].

وجد النقاد الكثير من الصلات بين علم النفس وبلاغة عبد القاهر في تحليلاته للشعر المستندة على فهم نفسي عميق«وهذا التعويل على التأمل الباطني أو فحص المرء نفسه يستعمله لعبد القاهر الجرجاني استعمالًا موفقًا في شرح نظرياته في النظم في كتابه دلائل الإعجاز، وهو يبني كتابه الآخر أسرار البلاغة على أساس نظرية نفسانية واضحة يقررها، فهو مثلًا يرجع سر تأثير التمثيل إلى علل نفسية...وإن عبد القاهر صاحب في النقد الأدبي يستحق بها أن يأخذ مكانة في تاريخ هذه الدراسات ورجالها المحققين، وأن هذه النظرية ذات طابع سيكولوجي وذوقي»[57].

تقاربت المعالجة البلاغية للنصوص الأدبية عند عبد القاهر مع طريقة التحليل النفسي في النظريات النفسية المعاصرة، ويرى النقاد بأن بلاغة عبد القاهر رغم سعتها وشمولها، إلا أنها حوت نظرية سيكولوجية، فتحدث عن أذواق المتلقين وجماليات التلقي، وطرح معالم نظرية نفسية«وهذه النظرية التأثيرية في جودة الأدب جزء من تفكير سيكولوجي أعم يطبع كتاب للأسرار كله بطابعه، فالمؤلف لا يفتأ يدعوك بين لحظة وأخرى إلى تجربة الطريقة النفسانية التي يسميها المحدثون الفحص الباطني أن تقرأ الشعر وتراقب نفسك عند قراءته وبعدها».Introspection[58]

قدم عبد القاهر نموذج من التحليل النفسي الباطني، من خلال طلبه من المؤلف التأمل فيما يكتب حتى يصل إلى أقصى درجة من المعايشة لأفكاره ومعانيه ، وبذلك تمكن عبد القاهر من طرح تحليل بلاغي هو أقرب إلى التحليل النفسي الحديث.

خلاصة :

توقفنا عند ملامح الممارسات النقدية النفسية في تراثنا البلاغي العربي، ووضعناها في تقاطع مع نظريات التحليل النفسي الغربية، ولاحظنا أن الجدل النقدي حول الظواهر النفسية وسع من نطاق النظرية النفسية الغربية.

وفي الأخير نقول بتوفيق علماء البلاغة في التأسيس لمعالم التحليل النفسي في البلاغة العربية خصوصًا عند ابن طباطبا وعبد القاهر وحازم، ووجدنا أن عبد القاهر حمل وعيًا بلاغيًا جماعيًا، ودخلت الملاحظات البلاغية حول البواعث النفسية للشعر ومراعاة حال المتلقي في صميم النقد الأدبي النفسي، واهتم علماء البلاغة بتحليل الظواهر النفسية في النصوص الأدبية من حيث الإنتاج والتلقي، ورصدوا مختلف الانطباعات النفسية للمتلقي أثناء قراءته الأدبية، وكما أننا

وجدنا علماء البلاغة على حذر في المعالجة النفسية، فتعرضوا للظواهر النفسية في الأدب بالقدر الذي جعلهم يفهمون بناء الصناعة الفنية الأدبية ودوافعها النفسية.

ومنه إذن لاحظنا أن معالم النقد النفسي تأسست في البلاغة العربية على طابع الاتفاق، فوجدنا نفس الملاحظات النفسية ترددت على ألسنة علماء البلاغة، وأما في الفكر الغربي، فظهرت المفارقة في بناء النقد الأدبي النفسي بين فرويد ونقاد التحليل النفسي .

هوامش:

[1]-إبراهيم عبد العزيز السمري:اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق. العربية، ط1، القاهرة-مصر، 2011، ص 88-97

[2]-بول آرون وآخرون :معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة:محمد حمود ، المؤسسة الجامعية للنشر "مجد"، ط1، بيروت – لبنان، 1433هـ/2012م، ص 1221-1222.

[3]- زين الدين المختاري:المدخل إلى نظرية النقد النفسي"سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجًا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، 1998، ص17.

[4] – جان بيلمان نويل:التحليل النفسي والأدب ، ترجمة:حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة ، مصر ، 1997، ص 112.

[5] – زين الدين المختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي ، ص 16 .

[6] – المرجع نفسه ، ص 18 .

– آيفور أرمسترونغ ريتشاردز:فلسفة البلاغة، ترجمة:سعيد الغانمي وناصر حلاوي، أفريقيا[7] الشرق ، بيروت-لبنان ، 2002 ، ص 2

[8] – جان بيلمان نويل: التحليل النفسي والأدب ، ترجمة:حسن المودن ، ص 15 .

[9]-سيد قطب:النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط6، مصر، 1410هـ/1990ص 191

[10] – جان بيلمان نويل: التحليل النفسي والأدب ، ترجمة:حسن المودن، ص 28 .

[11] – ستانلي هايمن:النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة:إحسان عباس ومحمد نجم يوسف دار الثقافة ، بيروت-لبنان ، 1960، ج2، ص 118 .

[12] – زين الدين المختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي ، ص 52 .

[13] – المرجع، ص5- 6 .

– وحيد كبابة: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ، ط1، بيروت – لبنان، 2012، ص568[14]

[15]–مصطفى ناصف:اللغة والبلاغة والميلاد الجديد، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت، 148ص.1992

[16]– سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص .196

[17] – سمير أبو حمدان :الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات، ط1، بيروت–باريس ، 1991م ، ص 49.

[18]– سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 195.

[19] – المرجع نفسه، ص .196

[20]– المرجع نفسه ، ص 198 .

[21]قصي الحسين:النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وأعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، طرابلس– لبنان ، 2003م ، ص 335

[22] – سمير أبو حمدان :الإبلاغية في البلاغة العربية ، ص 57 .

[23]– المرجع نفسه ، ص 54 .

[24]– قصي الحسين :النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وأعلامه، ص 397 .

[25] – عز الدين إسماعيل:الأسس الجمالية في النقد العربي "عرض وتفسير ومقارنة"، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر ، 1412ه/1992م، ص 176 .

[26] – سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 208 .

[27] –عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق:محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت– لبنان، 1409ه ./1988م ، ص 194–195 .

[28]– عز الدين إسماعيل:الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص 122 .

[29]– سمير أبو حمدان :الإبلاغية في البلاغة العربية ، ص 55 .

[30] – سمير أبو حمدان :الإبلاغية في البلاغة العربية ، ص 60 .

[31]– المرجع نفسه ، ص 49– 50 .

[32]–عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة في علم البيان، ت:محمد رشيد رضا، ص 102–103 .

[33]–عبد القادر الغزالي:الشعرية العربية التاريخية والرهانات، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية–سوريا، 2010م، ص 73 .

[34]– سمير أبو حمدان :الإبلاغية في البلاغة العربية ، ص 51 .

[35] – قصي الحسين :النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وأعلامه، ص 311 .

[36]– ابن طباطبا العلوي:عيار الشعر، تحقيق:عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، ط2 ، بيروت –لبنان 1426هـ/ 2005م، ص 12 .

[37]–حازم القرطاجني:منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق:محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي، ، ط3، بيروت–لبنان، 1986م، ص 28 .

[38]–سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 195.

[39] –قصي الحسين:النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وأعلامه، ص396، 454، 452

[40]– سمير أبو حمدان :الإبلاغية في البلاغة العربية، ص 53 .

[41] –عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة في علم البيان، ت: محمد رشيد رضا، ص 92–93

[42]– حازم القرطاجني:منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت:محمد الحبيب بن الخوجة، ص 23 .

[43]– سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 196 .

[44]– محمد خلف الله :من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة– مصر ، 1366هـ /1947م، ص105 .

[45]– عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة في علم البيان، ت : محمد رشيد رضا، ص 32

[46]– محمد خلف الله :من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، ص 102–103 .

[47] – مجدي أحمد توفيق:مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم ، الهيئة المصريةالعامة، د.ت، مصر، 1993، ص204

[48]– عز الدين إسماعيل:الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص 137 .

[49]– سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 194 .

[50] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة–مصر، 2004، ص291

[51]– مجدي أحمد توفيق :مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم ، ص 205 .

[52]– المرجع نفسه، ص207 .

[53]– المرجع نفسه، ص 251 .

[54]– زين الدين المختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي ، ص 50 .

[55]– سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 194 .

[56]– مصطفى ناصف: اللغة والبلاغة والميلاد الجديد، ص 191.

[57]–سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 201–202.

[58]–محمد خلف الله :من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، ص 92 .